قال لأن كل من يمشى عليه مؤدب، لو خرج عنه سيلقى حتفه فورا، المخاطبة ليلا بالأضواء، والأصول مرعية.

عاد سيادته إلى صمته الغميق، لم يعلق، لم يبد استحسانا أو أى رغبة فى المجادلة كأنه لم ينطق. طبعا المنياوى كان ألم بصيغة المخاطبة الواجبة، حذره الأدفوى من استخدام عبارات مثل «ياباشا» أو «معاليك»، نصحه باستخدام لفظ «سيادتك» عند الحديث مباشرة، أو «الأستاذ» فى حالة الحديث عنه غيابا.

لمدة أربعة أيام لم ينطق لفظا واحدا، أخطر ما جرى خلالها نظرة عابرة رصدها المنياوى عند نزوله، لم يدر، هل هو المقصود بكل هذه الكراهية البادية؟ لماذا يتطلع إليه باحتقار هكذا؟ هل ارتكب ذنبا؟، لا يدرى غير أن نفسه صدت عن الأكل، ولم يعد ينفع معه السمك المقلى بحذق والذى تخصصت فيه أم العيال باعتبارها سويسية أصيلة، كانت أكلة نهاية الأسبوع سمك البلطى المقلى بالتحويجة التى أتقنتها، كان يتصدر المائدة فى صالة البيت، يطعم الأولاد بيده، ينتزع الشوك من اللحم الطازج الطرى، يزقهم بحنية ورفق، ويتمهل حتى يقضى أحيانا ساعتين، ثم يتكئ إلى مسند الكنبة، الصغرى فوق ركبته، روحه فيها، لكنه لا يخل قط بمداعبة الوسطى وإرضاء الكبير، ومعاملته كصاحب، يتفرج مع أولاده ويسهر بصحبتهم حتى تطلب منهم النوم إذ يدنو الفجر، ثم يبدأ همسهما، مناغاتهما.

فى البداية ظنت أن وهنا أدركه، حتى أنها داعبته قائلة برقة ولوم خفى، «ربما لم أعد أعجبك».

التفت إليها، معتذرا، متقربا، شاكيا بغير نطق، دنت منه، ضمته إلى